اللسانيات الانثروبولوجية: بحث في الوظائف النظرية والتطبيقية

Anthropological linguistics: an investigation into theoretical and applied functions

ليث سعيد هاشم الرواجفة*

جامعة الهاشمية (الاردن)، **asmalaith201@gmail.com**

تاريخ الاستقبال: 2022/12/26؛ **تاريخ القبول**: 2023/04/26؛ **تاريخ النشر**: 2023/05/28

ملخص: سعت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على وظائف اللسانيات الانثروبولوجية بمستوياتها النظرية والتطبيقية؛ وذلك عبر تتبع جذورها عند روادها (فرانز بوواز) و(ادوارد سابير)، و(بنجامين لي وورف). والنبش في فلسفتها القائمة على مبدأ علاقة اللغة بالظواهر الاجتماعية. وسعت الدراسة إلى تبيان علاقة اللسانيات الانثروبولوجية بالنظرية السلوكية وغيرها من النظريات اللسانية، وذكرت ما نتج عنها من نظريات لسانية أسهمت ببناء مؤسسات رسمية. وبيّنت الدراسة أهم مدارس اللسانيات الانثروبولوجية (الأمريكية، البريطانية، الألمانية، الفرنسية) وأوجه التشابه والاختلاف بينها، إلا أن التركيز كان على المدرسة الأمريكية بوصفها المركز الذي انطلق منه هذا الحقل اللساني. وتوصلت الدراسة إلى جملة نتائج من أبرزها أن العمل الميداني هو المفتاح الرئيس لجميع حقول اللسانيات الأنثروبولوجية مما أضفى عليها سمة اللسانيات التطبيقية بجدارة.

الكلمات المفتاح: اللسانيات، الانثروبولوجية، السلوك الكلامي

Abstract: This study sought to shed light on the functions of anthropological linguistics at both theoretical and applied levels. By tracing its roots to its pioneers (Franz Boaz), (Edward Sapir), and (Benjamin Lee Whorf). And digging into its philosophy based on the principle of the relationship of language to social phenomena. The study sought to show the relationship of anthropological linguistics to behavioral theory and other linguistic theories, and mentioned the resulting linguistic theories that contributed to building formal institutions. The study showed the most important schools of anthropological linguistics (American, British, German and French) and the similarities and differences between them, but the focus was on the American school as the center from which this linguistic field was launched. The study reached a number of results, the most prominent of which is that field work is the main key to all fields of anthropological linguistics, which gave it the well-deserved character of applied linguistics.

Keywords: Linguistics, anthropology, speech behavior

I- تمهيد:

اللسانيات الانثروبولوجية

تعنى اللسانيات الانثروبولوجية بإشكالية العلاقة بين اللغة والثقافة، وتنشغل بتقديم إجابات عن سؤالين كبيرين هما: هل يكون نمط اللغة مشروطاً بالنماذج الثقافية التي يتبناها المجتمع المتكلم؟ وإلى أي مدى يمكن أن يتحقق هذا الأمر؟ وانطلاقاً من السلوكية -بوصفها الأساس النظري- جعل الباحثون الأمريكيون الظواهر اللسانية مركز اهتمامهم، وأكدوا أن (السلوك اللساني) يُظهر الفرد بشكل مباشر على أنه حامل نمط معين من أنماط الثقافة، وأنه أكثر الظواهر ملاءمة للملاحظة العلمية الموضوعية والمباشرة، وهكذا بدأ المشتغلون بالمجالات المعرفية غير اللسانية -ولا سيما علماء الأجناس وعلماء النفس- يشتغلون أنفسهم بالظواهر اللسانية، وانشغل علماء الدلالة الفلسفية بقضية العلاقة المتبادلة بين اللغة والثقافة، مما منح الأبحاث (الانثروبولوجية) في اللغة مزيداً من القوة الدافعة في تعاون يقوم على تعدد الاختصاص.

وكان اتصال اللسانيين الأمريكيين باللغات الهندو-أمريكية هو أهم العوامل التي أثارت اهتمامهم بالظواهر الانثروبولوجية، كما كان لظروف العمل اللساني في الولايات المتحدة دورها في دعم توجههم نحو دراسة الانثروبولوجيا، وكانت الخطوة الأولى في دراسة اللغات الهندو- أمريكية هي تراكم المادة المعجمية التي تظهر النمط الثقافي للجماعة العرقية، ولكي ينجز اللسانيون مهمة جمع المادة المعجمية وشرحها بطريقة فعالة كان من الضروري الحصول على قدر من المعرفة بحياة الجماعة العرقية المدروسة وعاداتها، ولهذا السبب شارك اللسانيون الأمريكيون في الهموم الانثروبولوجية لممثلي التخصصات الأخرى. وقد بدأت اللسانيات الانثروبولوجية بأعمال بوواز وسابير.

فرانز بوواز (Franz Boas) (1858- 1942)

كانت أعمال بوواز بداية حقيقية لمدرسة أمريكية في اللسانيات، وقد قدم بوواز رأيه القائل بأن اللغات لها منطقها الداخلي الذي يأبى الانقياد لتطبيق أي مبدأ منهجي عام، وأن المادة اللسانية نفسها هي التي تفرض طريقة التحليل الملائمة لها.

وكان الانثروبولوجيون الأمريكيون معنيين ببناء أوصافًا جديدة للغات الهندو-أمريكية وثقافاتها قبل أن تندثر، ولم يجدوا وثائق مكتوبة يمكنهم الاعتماد عليها، ومن ثم فقد استبعدوا التحليل التاريخي (التعاقبي)، واستلزمت المقارنة أن تمدنا بنماذج دقيقة للغات حية، وكان فرانز بوواز رائداً في هذا المجال، حين نشر عام (1911م) المجلد الأول من كتابه: (الدليل إلى اللغات الهندية الأمريكية) ('Handbook of the American Indian languages)، والذي يعد أعظم إنجازاته، وقد أشار في مقدمته إلى إمكان إثراء المعرفة النفسانية بنتائج البحث اللساني، وقد ثبت أن لهذا الكتاب –بالإضافة إلى كتاب (اللغة) لسابير، الذي ظهر بعده بعشرة أعوام- تأثيراً شكلانياً (Formative) على التطور المبكر للسانيات الأمريكية، وقد عرض بوواز الاتجاه الجديد بقوة (في ص 60 من الكتاب) بقوله: يجب أن نصر على أن امتلاك ناصية اللغة وسيلة لا غنى عنها، لكي نحصل على معرفة دقيقة وشاملة. ذلك أننا يمكننا أن نحصل على معرفة واسعة عن طريق الإصغاء إلى أحاديث أصحاب اللغة. والمشاركة في حياتهم اليومية، وبالنسبة للملاحظ غير المتمكن من اللغة يبقى هذان العاملان غير فاعلين على الإطلاق.

وقد استطاع بوواز أن يفتتح تراثاً عظيماً –في اللسانيات الأمريكية- وما زال هذا التراث حياً إلى اليوم، كما كان بوواز أول من جعل الوصف الآني غاية الاهتمام الأساسية.

ادوارد سابير (Edward Sapir) (1884- 1939)

تلميذ بوواز، وهو الممثل التقليدي للسانيات الأمريكية، ورائد البنيوية في أمريكا، وبدأ –مستقلاً عن سوسير (Saussure)- في نشر أفكاره بالخارج عن اللغة بوصفها نظاماً منسوقاً، وتحمل اللسانيات الوصفية التي كانت غايتها الأولى فحص أنماط البنية اللسانية، كما تقدم بدراسة اللغات الهندية، ووضع آراءه النظرية الأساسية موضع التطبيق العملي فيها.

وكان سابير مؤسس فكرة النماذج اللسانية، وذهب إلى أنه من الضروري –لكي نتفهم منظومة هذه النماذج التي تضبط

ممارسة الكلام– تحصيل معرفة شاملة بالبنية الثقافية للغة التي ندرسها. وكان هذا الجانب من فكره حاسماً بالنسبة لتطور اللسانيات الأمريكية بعد ذلك، إذ كان حافزاً لها على احتواء الأبحاث الانثروبولوجية في برنامج الدراسات اللسانية.

ووفقاً لالتزامه الثابت بنظريته في النماذج نجده يحدد الفونيم بأنه مركب مؤلف من استدعاءات نفسية تندمج في صوت (مثالي)؛ أي في مفهوم مخصوص يكمن في شبه الوعي بوصفه نموذجاً يتم على منواله تكوين أمثلة الأصوات المحسوسة وقد ظل مفهومه النفساني (الذهني) للفونيم ذات أهمية هامشية في تاريخ الدراسات الفونيمية، ولكنه –عند تعريف الفونيم– قدم معياراً ذا أهمية بالغة هو المعيار التوزيعي (Distribional) واعتقد أن أحد العوامل الحاسمة في تحديد طبيعة الفونيم هو إمكانات تجميع الأصوات في سلسلة الكلام؛ أي حصر جميع المواقع التي يمكن لفونيم بعينه أن يحتلها بالنسبة للفونيمات الأخرى في النظام اللساني الواحد، وسرعان ما صار استخدام المعيار التوزيعي أساس المنهجية اللسانية الأمريكية.

بنجامين لي وورف (Benjamin Lee Whorf) (1897- 1941)

تلميذ سابير، وشخصية لها تأثيرها في تطور الأفكار الانثروبولوجية في اللسانيات، أيّد القول بأن العالم الذهني والنفساني للمرء يرتبط ارتباطاً وثيقاً ببنية لغته، وكما رأى أن اللغة متأثرة بالثقافة رأى عكس ذلك فذهب إلى أن نمط الثقافة مشروط بنمط اللغة، تلك التي أثرت على عملية اكتساب المعرفة.

وقد استقر لدى اللسانيين تقليد يوجب عليهم الاهتمام بالمشكلات التي لا تنحصر في الظواهر المتصلة بطبيعة اللغة، وبعدها اتصفت قائمة الموضوعات التي تعالجها اللسانيات بالثراء العظيم، فقد قدم اللسانيون فكرة دراسة اللسانيات القبلية (Perlinguisicsa)، وتختص بجمع المعلومات عن كل العوامل البيولوجية السابقة على حدث الكلام، وكذلك اللسانيات الموازية (Paralinguisicsa)، وتختص بدراسة أهم الظواهر التي لا يمكن أن تعد من الحقائق اللسانية بالمعنى الدقيق، ولكنها تصاحب عملية الكلام وتكسبها مذاقاً خاصاً (كالوشوشة والصياح والضحك). كما نما مجال تخصص آخر هو (علم الإشارة الجسمية) ويختص بدراسة الإيماءات وأوضاع الجسم وتعبيرات الوجه، بوصفها وسائل

لتعزيز التفاهم.

تعقيب وتركيب

خلاصة البحث

اللسانيات الانثروبولوجية معنية بدراسة علاقة اللغة بالظواهر الاجتماعية.

يعتبر فرانز بواز أبو الأنثروبولوجيا الأمريكية، وهو من قام بتدريب الشخصيات البارزة في النصف الأول من القرن العشرين، فمع بواز جاء نقد مبدأ النشوئية التطورية، والدفاع عن التاريخانية لفهم توزع الصفات العرقية، وإضفاء الطابع المؤسساتي على الأنثروبولوجيا في أقسام الجامعة العلمية، والمتاحف، والوحدات المهنية. ومنذ البداية جاء مع بواز استخدام الثقافة بوصفها مفهوماً أساساً في مقابل التركيز المجتمعي للأنثروبولوجيا البريطانية.

بواز اعتمد في دراساته لتاريخانية الحضارات غير المكتوبة على اللغة، والثقافة كانت عنده ليس مرادفاً للحضارة، وطمح إلى تأكيد اختلاف الثقافات عبر النظر إليها كسياقات للسلوك الإنساني المكتسب بالتعلم، (في هذا اختلف مع علم النفس في ذلك الوقت الذي كان يؤكد على الغريزة/ الفطرة).

ظهر مع بواز مفهوم النسبية الثقافية، وهي فكرة ضرورية لفهم الثقافات في ضوء مصطلحاتها الخاصة وسياقاتها التاريخية قبل محاولة التعميم، وبذلك ظهر ما يسمى الخصوصية التاريخية كبديل عن نظرية التكون التقويمي التطوري التي انتقدها؛ وبمعنى آخر فكرة أن التقدم الثقافي يمكن أن يكون بتعلم/ محاكات الثقافات لبعضها البعض، وبذلك حقق انتصاراً للأنثروبولوجين المؤمنين بمبدأ الانتشارية.

مع اللسانيات الأنثروبولوجية ظهرت قضية مقارنة المهاجرين مع أحفادهم المولودين في الولايات المتحدة والتي أظهرت ليونة في تلك الصفات التي من المفترض أنها استجابت للأوضاع البيئية.

في الجانب الذهني من الأنثروبولوجيا الأمريكية كانت اللغة عبارة عن النموذج، واستلمت المناهج الرسمية المماثلة لمنهجيات اللسانيات البنيوية لتصبح (قواعد النحو الثقافية) ومن بين الشخصيات الرئيسة في هذه الحركة كان فلويد لونسبري (Floyd Lounsbury) وارد كودناف (Ward Good Enough) هارلد كونكلين (Harold C onkin) تشارلز فريك (Charles Frake).

اللسانيات الأنثروبولوجية سلكت في السنوات الأولى من ستينيات القرن الماضي منهجاً مغايراً بشكل جوهري عن نموذج تشومسكي السائد في علم اللغة في ذلك الوقت، والذي فسر اللغة بوصفها نتاجاً للبنى الفطرية في الدماغ وبالتالي ينطبق ذلك على المستوى العالمي، أما اللسانيات الأنثروبولوجية نظرت إلى اللغة على أنها تفاعل اجتماعي غير رسمي ثقافياً، مما وضع الاختلاف اللغوي في دائرة الدراسات اللسانية وابتكرت مفهوم (اثنوغرافيا الاتصال).

تعمقت اللسانيات الأنثروبولوجية الذهنية في دراسة المعنى فأصبحت تدرس (نماذج من) ونماذج لـ(العالم) في أذهان حاملي الثقافة، ومن هنا ظهرت الصراعات بين نفي العلاقات الفكرية بين أصحاب القرابة واختلاف أذهانهم حتى لو كانوا من نفس العرق.

والقرابة تكون بالسلوك اللغوي والثقافي البيئي.

من خلال اللسانيات الأنثروبولوجية صرنا نسمع عن: بلاغة الموضوعية (روزالدو)، واستخدام المجاز (كليفورد)، السيرة الذاتية الإثنية أو (فنون الذاكرة ما بعد الحداثية) (فيشر)، الوثائق الاعتقادية (تايلور)، وغيرها.

آخر كلمات قالها بواز قبل وفاته كانت في أحضان كلود ليفي ستراوس (Strauss)، وتلك الكلمات كانت عن العرق، مما دفع ستراوس إلى تأليف كتبه في هذا المجال.

إن العمل الميداني هو المفتاح الرئيس لجميع حقول اللسانيات الأنثروبولوجية مما أضفى عليها سمة اللسانيات التطبيقية

بجدارة.

أهم ما وصلت إليه الأنثروبولوجيا الحديثة هو وضع منهجية علمية دقيقة لدراسة المجتمعات المركبة (مثل: أمريكا، الهند، الصين- اليابان، فرنسا، ألمانيا...).

بعد الحرب الباردة مع روسيا أخذت اللسانيات الأنثروبولوجية الأمريكية على عاتقها همّ التحديث بغية تحويل المجتمعات التقليدية إلى مجتمعات حديثة ومواكبة لكل تطور، خصوصاً على المستوى اللغوي، مما يعني عملية الاندماج والانصهار والقضاء على أي عنصرية أو نزعة ذاتية.

دراسة لغة المجتمعات الحضرية ومقارنتها بالإثنية هي أيضاً وظيفة لسانية أنثروبولوجية مهمة.

الأنثروبولوجيون ليسوا أشخاصاً عاديين في أمريكا تحديداً، تحكموا في أكبر الأمور وأصغرها، مثل ما حدث عام 1970 حين قمعوا (فكرياً) حركات التمرد الطلابية الرافضة لسياسة الحكومة الخارجية والتدخل الأمريكي في فيتنام وتايلند، ورسخوا فكرة ضرورة دعم الدول الصديقة، كما أن الأنثروبولوجيين هم نفسهم من قادوا مثل هذه الحركات والثورات.

مكتب الدراسات الأنثروبولوجية بعد الحرب العالمية الثانية قام بتقديم تقارير أشارت إلى تفصيل وتحليل ثقافي لجهود المجموعات الوطنية والهنود الأصليين في الحرب، ومن ثم تحول هذا المكتب لاحقاً إلى وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (CIA).

الاحالات والمراجع

- حنا، سامي عياد، وآخرون، معجم اللسانيات الحديثة، ط1، 1997م، مكتبة لبنان، بيروت- لبنان.
- رتيبة، بوفروم، تعليمية اللغة العربية في مرحلة ما بعد التمدرس: دراسة تطبيقية في مراكز تعليم اللغات للكبار، رسالة ماجستير، جامعة وهران- كلية الأدب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، 2009م.
- كامل، وفاء، البنيوية في اللسانيات، مجلة عالم الفكر، ع2، 1997م، الكويت.
- كعواش، عزيز، النظرية الأنثرولغوية بين علم اللسانيات والأنثروبولوجيا، مجلة العلوم الإنسانية، ع 36- 37، جامعة محمد خضير بسكرة، 2014م.
- One Discipline, Four Ways: British, German, French, and American Anthropology. By: Fredrik Barth, Robert Parkin, Andre Gingrich, and Sydel Silverma. The University of Chicago. 2005. U.S.A.